السودان خارج التغطية: لماذا صمت العالم أمام أكبر مأساة إنسانية معاصرة؟

1. المقدمة

تشهد السودان منذ أبريل 2023 حربًا أهلية طاحنة بين القوات المسلحة السودانية وقوات الدعم السريع، أفضت إلى كارثة إنسانية غير مسبوقة في حجمها وتداعياتها. فقد قُتل عشرات الآلاف من المدنيين (مع تقديرات غير رسمية بنحو 150 ألف وفاة حتى منتصف 2024)، ونزح أو هُجّر أكثر من 12 مليون سوداني عن ديارهم، بينهم ما يفوق 3.5 مليون لاجئ فرّوا إلى دول الجوار. رغم هذا الحجم المهول للمأساة، بدا أن العالم يلتزم الصمت إلى حدّ بعيد، في ظل غياب التغطية الإعلامية الكافية وضعف التحرك الدولي. لا مظاهرات غضب تجوب العواصم لأجل السودان، ولا يتصدر النزاع عناوين الأخبار إلا نادرًا. أمام هذا التجاهل، يثار سؤال ملحّ: لماذا لا يحظى السودان بالأولوية في أجندة المجتمع الدولي رغم كون ما يجري فيه أكبر مأساة إنسانية معاصرة؟ يمثّل السودان اليوم حالة سياسية تستحق الدراسة ليس من زاوية أمنية أو إنسانية فقط، بل بوصفها نموذجًا يكشف محدودية النظام الدولي في التصدي للصراعات التي تقع خارج حسابات القوى الكبرى. فالاستجابات الدولية لا تتحدد وفقًا للشرعية الأخلاقية أو الالتزامات الإنسانية، بل وفق توازنات القوة والمصالح الاستراتيجية، ما يجعل بعض الأزمات تحظى بتغطية كبرى وتعبئة دبلوماسية عاجلة، فيما تُترك أزمات أخرى للنزف الطويل دون اكتراث. ويأتي السودان مثالًا صارخًا على هذه الانتقائية في الاهتمام الدولي، حيث يتقاطع الإهمال السياسي مع التعتيم الإعلامي وضعف الضغط الدبلوماسي ليشكل جميعها إطارًا يسمح باستمرار الحرب وإطالة أمدها.

يسعى هذا البحث إلى تحليل الأسباب العميقة لصمت المجتمع الدولي تجاه الأزمة السودانية، من منظور سياسي نقدي يربط بين ديناميات الصراع الداخلي وتشابكاته الإقليمية والدولية. كما يتناول البحث العوامل البنيوية التي جعلت السودان خارج أولويات النظام العالمي، والعوامل الإعلامية والسياسية والاقتصادية التي ساهمت في إضعاف حضور قضيته على جدول الاهتمام الدولي، إضافة إلى تحليل التداعيات المحتملة لاستمرار هذا الصمت على مستقبل الدولة السودانية واستقرار الإقليم ككل.

2. غياب المصالح الكبرى – لماذا لا يُنظر للسودان كأولوية عالمية؟

على الرغم من الموارد الطبيعية الغنية للسودان وموقعه الجيوسياسي الهام، لم يُعامل كنقطة أولوية على خريطة الاهتمامات الدولية مقارنةً بدول أخرى مثل أوكرانيا أو دول الخليج. يعود ذلك في جانب كبير إلى غياب المصالح الاقتصادية والاستراتيجية الكبرى للقوى العظمى في السودان. فعلى سبيل المثال، اقتصاد السودان محدود الحجم والتأثير عالميًا؛ إذ لا يمتلك السودان حصصًا مؤثرة في أسواق الطاقة العالمية كما هو حال دول الخليج، ولا يشكل ثقلاً صناعيًا أو تكنولوجيًا يجعله محور تنافس القوى الكبرى. وباستثناء صادرات مثل الذهب والصمغ العربي وبعض المنتجات الزراعية، يظل السودان خارج الرادار الاقتصادي العالمي. تجدر الإشارة إلى أن السودان يعد أكبر منتج عالمي للصمغ العربي (حوالي 70% من الإمدادات العالمية)، إلا أن هذا المنتج – على أهميته لصناعات الأغذية والأدوية – لم يترجم إلى نفوذ سياسي يُذكر للسودان. أما الذهب، فعلى الرغم من قيمته، يتم تهريب جزء كبير منه

وبيعه "خارج الدفاتر" لدول مثل الإمارات وروسيا دون أن يعود بالنفع على الاقتصاد السوداني. بمعنى آخر، تُستغل ثروات السودان من قبل أطراف محدودة (محلية وخارجية) دون أن تجعل منه لاعبًا اقتصاديًا عالميًا يجبر الدول على الاهتمام باستقراره (FMES, 2024).

إضافة إلى ذلك، يفتقر السودان إلى جماعات ضغط دولية (لوبيات) تدافع عن قضاياه في العواصم الكبرى. فالجاليات السودانية في الغرب محدودة التأثير مقارنةً بجاليات دول أخرى، ولا يوجد لوبي سياسي أو إعلامي عالمي قوي يرفع صوت معاناة السودان في المحافل الدولية. في المقابل، نرى أن لأوكرانيا دعمًا غربيًا هائلاً نظرًا لارتباط أمن أوروبا ومبادئ النظام الدولي بالنزاع هناك، كما تحظى قضايا الشرق الأوسط باهتمام خاص لارتباطها بمصالح النفط وأمن إسرائيل وغير ذلك. هذه الشبكة من المصالح واللوبيات غائبة تقريبًا فيما يخص السودان.

بالإضافة إلى ذلك، السودان ضعيف الحضور في نظام القوى الدولي. فعلى الصعيد الدبلوماسي، تأثر وضعه بعقود من العزلة والعقوبات في ظل نظام البشير، مما أبقاه خارج التحالفات الكبرى. ولم يتمتع السودان بعد الثورة بزخم كافٍ لإعادة تموضعه دوليًا قبل اندلاع الحرب الحالية. وحين وقع الصراع، لم تكن هناك دولة عظمى تعتبر السودان ضمن نطاق نفوذها الحيوي بشكل واضح يستدعي تدخلًا سريعًا. الولايات المتحدة، على سبيل المثال, فرضت عقوبات طويلة على نظام البشير الإسلامي، لكنها لم تعتبر السودان أولوية قصوى لاحقًا إلا من منظور منع تمدد نفوذ خصومها (كروسيا وإيران). أما الصين فتتبنى موقفًا حذرًا وصامتًا إزاء الأزمة، إذ لديها مصالح تجارية محدودة وتفضل عدم الانخراط العلني (Al FMES, 2024, Jazeera, 2024).

ونتيجة لكل ما سبق، لم يدفع غياب المصالح الكبرى أية قوة عالمية لتبني ملف السودان بقوة على المسرح الدولي، فجاء الرد الدولي باهتًا وبطيئًا. وكما لخّص محللو المجلس الأطلسي، فإن النزاع السوداني يُؤطَّر غالبًا كصراع أهلي داخلي دون امتدادات جيوسياسية مباشرة، ما يجعله أقل أولوية مقارنةً بصراعات تتقاطع مع مصالح الدول الكبرى.

3. التواطؤ الدولي والإقليمي – مصالح خلف الصمت

لا يمكن فهم فتور الموقف الدولي دون النظر إلى شبكة المصالح الإقليمية والدولية المعقدة المحيطة بالصراع السوداني. فبعض القوى الدولية والإقليمية ليست مجرد متفرج محايد، بل منخرطة على نحو يطيل أمد الحرب وربما تجد في استمرارها تحقيقًا لأهدافها الخفية. وقد أدى هذا التورط – المباشر أو غير المباشر – إلى حالة من الصمت المتواطئ، حيث تتجنب دول معينة تصعيد الضغوط لوضع حدّ للحرب طالما أنها تخدم مصالحها أو مصالح حلفائها.

على الصعيد الإقليمي، لعبت دول مثل ليبيا والامارات أدوارًا مؤثرة في دعم أطراف الحرب. الإمارات العربية المتحدة تحديدًا برزت كأكبر داعم خارجي لقوات الدعم السريع بقيادة محمد حمدان دقلو (حميدتي). تشير تقارير موثوقة إلى أن أبوظبي قدمت دعمًا عسكريًا ولوجستيًا كبيرًا لحميدتي طيلة السنوات الأربع التي سبقت الحرب، واستمرت خلال النزاع (FMES, 2024). هذا الدعم شمل إمدادات من الأسلحة والذخائر والعتاد العسكري، تم تمرير الكثير منها عبر دول مجاورة كليبيا وتشاد ودول أخرى في المنطقة.. ولم يقتصر الأمر على العتاد؛ بل قامت الإمارات أيضًا – بحسب التقارير – بتجنيد أو استئجار مرتزقة وإرسالهم لدعم قوات حميدتي، وهو تكتيك سبق أن استخدمته في صراعات أخرى بالمنطقة مثل اليمن وليبيا (Sahloul, 2023).. دوافع الإمارات متعددة: منها عداؤها المعلن للإسلام السياسي (حيث ترى في الجيش السوداني حاضنة لبعض الإسلاميين)، وسعيها للهيمنة على الموانئ وخطوط

التجارة في البحر الأحمر، وضمان وصولها إلى ذهب السودان (كون حميدتي يسيطر على العديد من مناجم الذهب) وكذلك الأراضي الزراعية الخصبة لضمان أمنها الغذائي (Global Initiative Against Transnational Organized Crime, 2024).

أما ليبيا المجاورة، فقد تورطت عبر الجنرال خليفة حفتر في الشرق الليبي، وهو حليف وثيق للإمارات. لقد أقام حميدتي وقواته علاقات دعم متبادل مع حفتر خلال السنوات الماضية – أرسل مرتزقة سودانيين للقتال مع قوات حفتر في ليبيا مقابل تزويده بالسلاح والوقود (The Guardian, 2023). ومع اندلاع حرب السودان، تدفقت الأسلحة من مخازن حفتر إلى قوات الدعم السريع عبر الحدود الليبية بمباركة إماراتية. إضافة لذلك، تشير تقارير إلى وصول مقاتلين من مليشيات قبلية تنشط على جانبي الحدود (في دارفور وتشاد وليبيا) لدعم حميدتي (Small Arms Survey, 2024). وبالتالي أصبحت ليبيا منصة خلفية مهمة لإدامة قدرات قوات الدعم السريع القتالية.

دوليًا، لعبت روسيا دورًا شديد الأهمية وإن كان خلف الستار. فقبل الحرب الحالية، بنت موسكو نفوذًا في السودان عبر مجموعة فاغنر الأمنية، التي أقامت شراكة مع حميدتي منذ سقوط نظام البشير عام 2019. حصلت فاغنر على امتيازات لتعدين الذهب في السودان مقابل تزويد قوات الدعم السريع بالسلاح والتدريب والدعم السياسي، بما في ذلك إدارة حملات تضليل إعلامي عبر الإنترنت. وتشير تقديرات إلى أن 85% من إنتاج الذهب السوداني كان يُهرّب فعليًا إلى روسيا والإمارات خلال السنوات الأخيرة، ما أكسب حميدتي تمويلًا هائلًا خارج القنوات الرسمية. ومع اندلاع الحرب، تعمّقت الشراكة: واصلت فاغنر – رغم أحداث تمردها في روسيا منتصف 2023 – إمداد قوات الدعم السريع بالسلاح مقابل شحنات الذهب (BBC, 2024). وفي الوقت نفسه، اتخذ الكرملين موقفًا مزدوجًا: فعلى الصعيد العلني، أيّدت روسيا (بعد تردد) الحكومة السيادية المؤقتة المتمركزة في بورتسودان والموالية للجيش، وأرسلت وفودًا رسمية للقاء البرهان، حيث زار نائب وزير الخارجية الروسي ميخائيل بوغدانوف بورتسودان في أبريل 2024 مقدمًا دعمًا عسكريًا واقتصاديًا (TASS, 2024). لكن في الخفاء، استمرت روسيا في دعم حميدتي عبر فاغنر (التي أصبحت تعمل تحت اسم Africa Corps بعد 2024 لإعادة هيكلة نشاطاتها في إفريقيا). وحتى في مجلس الأمن، عرقلت موسكو جهودًا لإدانة أو معاقبة قوات الدعم السريع؛ إذ امتنعت روسيا عن التصويت على قرار يطالب بإنهاء حصار مدينة الفاشر في دارفور، كما اعترضت على مشروع قرار أميركي لفرض عقوبات على قادة في قوات الدعم السريع (United Nations Security Council, 2024).

هذا الموقف الروسي المزدوج يهدف إلى الحفاظ على موطئ قدم مع كلا الطرفين انتظارًا لمن ستكون له الغلبة. وفي كل الأحوال، تعمل روسيا على ضمان مصالحها الاستراتيجية في السودان. وتتمثل أهم هذه المصالح في إنشاء قاعدة بحرية روسية في بورتسودان على البحر الأحمر. فقد أعادت موسكو خلال 2024 مفاوضاتها مع السلطات السودانية للحصول على موطئ قدم عسكري على ساحل البحر الأحمر. وبالفعل، أكدت الحكومة السودانية الموالية للجيش في بورتسودان في فبراير 2025 أنها ماضية في اتفاق لاستضافة قاعدة روسية لمدة 25 عامًا (Horn International Institute for Strategic Studies, 2025). هذه الخطوة أثارت قلقًا غربيًا شديدًا، خاصة لدى الولايات المتحدة وفرنسا، لكنها في الوقت ذاته تُظهر استفادة موسكو من انشغال العالم وتراخيه حيال السودان لتمرير أجندتها البحرية والعسكرية في واحدة من أهم بوابات التجارة العالمية.

بالنسبة للولايات المتحدة وفرنسا ودول أوروبا، لعبت مصالحها في السودان والمنطقة دورًا مباشرًا في تشكيل مواقف باردة أو صامتة تجاه الحرب. فالولايات المتحدة – رغم تصريحاتها المتكررة حول دعم الانتقال الديمقراطي في السودان – تعاملت مع الأزمة من

زاوية صراع النفوذ في البحر الأحمر ومنع التغلغل الروسي والإيراني أكثر من تعاملها معها ككارثة إنسانية (FMES, 2024). وقد صرّحت المندوبة الأميركية لدى الأمم المتحدة ليندا توماس-غرينفيلد في مارس 2024 بأن حرب السودان هي "أسوأ أزمة إنسانية في العالم" (Chicago Council on Global Affairs, 2024)، لكن ذلك لم يُترجم إلى سياسة أميركية فعّالة لإنهاء الحرب. إذ اكتفت إدارة بايدن بإدانة العنف وفرض عقوبات محدودة على قادة من الطرفين، مع رعاية محادثات جدة بالتعاون مع السعودية، لكنها لم تمارس ضغطًا حقيقيًا على الأطراف الإقليمية التي تغذي الصراع – وعلى رأسها الإمارات (US State Department, 2024).

بالنسبة لفرنسا ودول أوروبا، فإن مصالحها في السودان مرتبطة بأمن البحر الأحمر والقرن الإفريقي وملف الهجرة واللاجئين. فرنسا لديها وجود عسكري في جيبوتي المجاورة وبالتالي يهمها استقرار منطقة البحر الأحمر. كما أنها – كغيرها من دول أوروبا – تخشى أن يؤدي انهيار السودان إلى موجات هجرة غير نظامية عبر شمال أفريقيا أو البحر الأحمر. لكنها في الوقت نفسه تعاني من إرهاق دبلوماسي نتيجة أزمات الساحل الإفريقي (الانقلابات في مالي والنيجر إلخ) وأزمة أوكرانيا، فلم تولِ السودان اهتمامًا كبيرًا سوى بالدعوة لمؤتمرات إغاثة. فعلى سبيل المثال، استضافت فرنسا مؤتمرًا إنسانيًا للسودان في باريس في يونيو 2023 بهدف جمع تعهدات، لكن النتائج كانت متواضعة. كما أصدرت باريس بيانات تدين العنف وتطالب بوقف إطلاق النار، دون خطوات ملموسة تتجاوز الإغاثة.

أما الدول الإفريقية الكبرى (كمصر وإثيوبيا ودول الاتحاد الإفريقي)، فلها حساباتها: مصر تدعم الجيش السوداني بحكم العلاقة التاريخية والخشية من نفوذ إثيوبيا أو الإسلاميين، لكنها حذرة من التدخل المباشر. أما إثيوبيا فتتابع بقلق ولكن منشغلة بأزماتها الداخلية. والاتحاد الإفريقي عُلِّقت عضوية السودان فيه بعد الحرب ولم ينجح حتى الآن في مبادرة فعالة.

METRO for Knowledge

4. فشل المنظومة الأممية – أزمة إنسانية بلا حماية

مع اشتداد النزاع وتفاقم الكارثة الإنسانية، برز عجز واضح في المنظومة الأممية والدولية عن توفير الحماية والمساعدة اللازمة للمدنيين السودانيين. فالأمم المتحدة ووكالاتها ومنظمات الإغاثة الدولية بدت غير قادرة على مواكبة حجم المأساة، سواء بسبب تحديات ميدانية أو قصور في التمويل والإرادة السياسية.

أول مظاهر هذا الفشل كان غياب الحماية الأممية الميدانية. فبعكس نزاعات سابقة في السودان – كما في دارفور حيث انتشرت قوات بعثة «يوناميد» لعقد من الزمن – لا توجد اليوم أي قوة سلام أممية أو إفريقية على الأرض للفصل بين المتحاربين أو لحماية المدنيين. والسبب أن بعثة «يونيتامس» (UNITAMS) التي أُنشئت عقب الثورة، اضطرت إلى إجلاء معظم موظفيها عند اندلاع الحرب في أبريل 2023 بسبب انعدام الأمن. وبالتالي تُرك المدنيون لمصيرهم تحت نيران القصف والاشتباكات دون "قبعة زرقاء" واحدة لحمايتهم (United Nations Security Council, 2023).

ثاني مظاهر الفشل كان الانهيار شبه التام لعمليات الإغاثة الإنسانية داخل السودان. فمع اندلاع القتال، تعرضت منظمات الإغاثة الدولية لظروف بالغة الخطورة؛ فقُتل على سبيل المثال خمسة من موظفي برنامج الأغذية العالمي في الأسبوع الأول للحرب في دارفور، وتم نهب مستودعات الغذاء والدواء في الخرطوم وأم درمان ومناطق أخرى. وبحلول منتصف 2023، أعلنت معظم الوكالات – مثل برنامج الغذاء العالمي ومنظمة الصحة العالمية واليونيسيف – تعليق أنشطتها مؤقتًا في أخطر المناطق بسبب انعدام

الأمان (UNOCHA, 2023). ومع اتساع نطاق المعارك، باتت مساحات شاسعة من البلاد خارج نطاق وصول أي مساعدات. وتقول الأمم المتحدة إن حوالي 19 مليون سوداني يعانون انعدام الأمن الغذائي الحاد، لكن القوافل تواجه المنع والنهب على الطرق أو تصطدم بالمعارك (United Nations in Sudan, 2024؛ Sudan Transparency and Policy Tracker, 2024).

فوق ذلك، تعاني المنظومة الأممية من فجوة تمويلية قاتلة تجاه الأزمة السودانية. فقد أطلقت الأمم المتحدة نداءات استغاثة خلال عامي 2023 و2024 لتوفير التمويل اللازم لخطة الاستجابة الإنسانية. لكن الاستجابة كانت مخيبة للآمال. ففي عام 2024 قُدّر حجم التمويل المطلوب بحوالي 2.7 مليار دولار، لكن ما تم توفيره لم يتجاوز 56% فقط بنهاية العام. ومع بداية 2025 ارتفعت الحاجة الإنسانية إلى 4.2 مليار دولار بسبب تضاعف عدد المحتاجين، لكن التمويل الذي وصل بحلول مارس 2025 كان 6% فقط من المطلوب (United Nations in Sudan, 2025). وحتى خطة استجابة اللاجئين السودانيين في دول الجوار لم يتم تمويلها بالكامل، إذ لم تتجاوز نسبة التمويل 30% خلال عام 2024 (Norwegian Refugee Council, 2024). هذا النقص يعني عمليًا حرمان ملايين البشر من الغذاء والرعاية الصحية والمأوى.

5. الحرب على الطرق والمعابر – عزل السودان عن العالم

ساهمت التكتيكات العسكرية للأطراف المتحاربة – خصوصًا قطع الطرق وحصار المدن وقطع الاتصالات – في جعل السودان معزولًا عن العالم خلال هذه الحرب، مما أدى إلى تعتيم إعلامي ومعلوماتي كبير حول الفظائع الجارية. لقد تحولت العديد من مناطق السودان إلى مناطق معزولة تمامًا يصعب الوصول إليها ميدانيًا أو حتى التواصل معها، الأمر الذي أدى إلى غياب الشهود والموثقين لما يحدث فيها وجعل الانتهاكات هناك جرائم بلا أدلة تثير انتباه الرأي العام.

أحد أبرز الأمثلة هو حصار دارفور ومدنها. فمنذ الشهور الأولى للحرب، فرضت قوات الدعم السريع حصارًا خانقًا على إقليم دارفور غربًا بعد أن بسطت سيطرتها على معظم مناطقه. وقد تعرضت مدن بكاملها لعزلة تامة عن بقية السودان وعن العالم الخارجي. مدينة الفاشر، حاضرة شمال دارفور والتي بقيت بيد الجيش، ضُرب عليها حصار مطبق من قبل قوات الدعم السريع منذ مايو 2024. قُطعت كل الطرق الرئيسية المؤدية للفاشر، ومنع دخول الغذاء والدواء، ما أدى إلى أزمة مجاعة حادة بداخلها. ووفق تقارير برنامج الغذاء العالمي في أغسطس 2025، هناك مئات الآلاف من المدنيين المحاصرين في الفاشر يواجهون خطر المجاعة الفعلية، واضطر البعض لأكل أوراق الأشجار وأعلاف الحيوانات للبقاء.

هذا الحصار جعل أيضًا أي صحفي أو مراقب مستقل غير قادر على دخول الفاشر أو دارفور عمومًا لنقل الحقيقة. ولم تظهر للعالم سوى ومضات مما حدث من خلال شهادات نادرة للاجئين تمكنوا من الفرار إلى تشاد المجاورة، رووا قصصًا مروعة عن إبادة جماعية صامتة ارتكبتها قوات الدعم السريع وميليشياتها بحق المدنيين في غرب دارفور، كما في مجزرة الجنينة التي قُتل فيها الآلاف من قبيلة المساليت خلال أسبوعين في يونيو 2023. تلك المجزرة لم تحظ بتغطية آنية نظرًا لانقطاع الاتصالات تمامًا في غرب دارفور حينها، ولم تتكشف فظائعها إلا لاحقًا عبر شهادات شفوية لمن نجوا إلى تشاد.

ولم يقتصر الأمر على دارفور؛ فعدد من مناطق ولايات كردفان أيضًا عانت العزلة. مدينة الأبيض في شمال كردفان مثلاً انقطعت عنها الاتصالات لفترات طويلة عندما دارت معارك حولها. أما في الخرطوم نفسها، فقد تعرضت العديد من أحيائها لحصار داخلي

متبادل: قوات الدعم السريع سيطرت على بعض الطرق والجسور، والجيش قصف مداخل مناطق أخرى، بحيث أصبحت حركة التنقل مستحيلة تقريبًا في العاصمة لعدة أشهر.

إلى جانب الحصار الميداني، جاء قطع الإنترنت وشبكات الاتصالات ليزيد الطين بلّة. فوفق تقرير نقابة الصحفيين السودانيين، انقطعت خدمات الإنترنت والاتصالات عن 80% من ولايات السودان خلال الحرب. في بعض الفترات كان الإنترنت مقطوعًا تمامًا على المستوى الوطني لأسباب أمنية أو تقنية بسبب تدمير البنية التحتية. هذا الانقطاع أعاق بشدة قدرة المواطنين على توثيق ما يجري عبر منصات التواصل أو التواصل مع الإعلام الخارجي.

زد على ذلك أن انهيار الدولة ومؤسساتها ساهم في مزيد من التعتيم. فلم تعد هناك سلطات محلية أو نظامية قادرة على رصد ما يجري. انهارت منظومة العدالة وإنفاذ القانون تمامًا في مناطق واسعة، فلا تحقيقات رسمية في المجازر، ولا نشرات لعدد القتلى أو الجرحى تصدر عن وزارة الصحة، إذ تفككت مؤسساتها. وكما أشار مراقبون، لا يوجد حتى تقدير تقريبي لعدد الضحايا لأن لا أحد يقوم بالعد فعليًا. غابت الإحصاءات والمعلومات الميدانية الموثوقة تحت وطأة الفوضى. المنظمات الدولية أيضًا سحبت معظم طواقمها الأجنبية، واعتمدت على متطوعين محليين محدودي القدرة على التواصل الخارجي بسبب انقطاع الاتصالات وخطر الاستهداف. كل ذلك جعل الصورة قاتمة ومعزولة داخل السودان، بحيث بقيت مآسٍ مروعة كثيرة طي الكتمان لفترات طويلة إلى أن تكشّفت متأخرًا جدًّا – وبعد فوات الأوان – عبر روايات اللاجئين أو تقارير حقوقية لاحقة.

6. صعود أولويات إعلامية منافسة – سياسة التجاهل الانتقائي

لقد تزامنت مأساة السودان مع سلسلة من الأزمات العالمية الأخرى التي حظيت باهتمام إعلامي وسياسي أكبر، مما أدى إلى تزاحم على "أجندة الاهتمام الدولي" ترك السودان في آخر الصف. يمكن وصف الأمر بأنه سياسة تجاهل انتقائي من قبل الإعلام الدولي، وفق اعتبارات ثقافية وسياسية – وأحيانًا تحيزات عنصرية – أكثر منها وفق حجم المعاناة الإنسانية وحده (FMES, 2024).

خلال عامي 2023 و2024، كانت هناك أزمات متنافسة على المشهد الإعلامي العالمي. الحرب الروسية في أوكرانيا ظلت في صدارة الأخبار بوصفها صراعًا جيوسياسيًا مفصليًا يؤثر على النظام العالمي وأمن أوروبا. كذلك تصاعد التوتر في شرق آسيا حول تايوان، ثم اندلعت حرب مدمرة في غزة خلال أواخر عام 2023 جذبت أنظار الإعلام لما فيها من أبعاد سياسية (Al Jazeera, 2024). في ظل هذه الأجواء، تراجعت التغطية الإخبارية للسودان إلى مرتبة متأخرة. وتدعم البيانات هذا التراجع في الاهتمام. فقد أظهر استطلاع للرأي في بريطانيا عام 2024 أن 42% من البريطانيين يعتقدون أن غزة هي أكبر أزمة إنسانية في العالم، و23% اختاروا أوكرانيا، مقابل فقط 5% أشاروا إلى السودان (Chicago Council on Global Affairs, 2024).

يلعب الانحياز الثقافي والسياسي لوسائل الإعلام الغربية دورًا مهمًا في هذه الانتقائية. فالإعلام في نهاية المطاف صناعة تستهدف جمهورًا، وهذا الجمهور يتفاعل أكثر مع القصص التي يشعر بصلته بها ثقافيًا أو سياسيًا (The Guardian, 2024). في حالة أوكرانيا، وجد الإعلام الغربي قصة "قريبة" من جمهوره: حرب في القارة الأوروبية يخوضها شعب "يشبهنا" ضد خصم تاريخي للغرب هو روسيا. كذلك تحظى حرب غزة/إسرائيل بتغطية مكثفة نظرًا للعلاقة السياسية الوثيقة بين الإعلام الغربي وإسرائيل. أما السودان، فيُنظَر إليه في الإعلام الغربي باعتباره بلدًا إفريقيًا بعيدًا جغرافيًا وثقافيًا، ولا يوجد تصور عام بأنه جزء من منظومة الاهتمامات الإنسانية أو السياسية ذات الأولوية (The Guardian, 2024).

ويعزز هذا الطرح ما يسمى بـ"نظرية التوقع المنخفض"، وهي فكرة أن العالم اعتاد رؤية الحروب والمجاعات في إفريقيا، فلم يعد يتفاعل معها بقوة لأنها أصبحت مألوفة في الوعي الإعلامي وكما كتب أحد الصحفيين الغربيين: "المأساة في السودان ليست أقل قسوة، لكنها ببساطة تقع خارج الكاميرا". كما أن غياب "القصة الأخلاقية الواضحة" في حرب السودان جعلها أقل جاذبية للإعلام العالمي. فالإعلام عادة يبني تغطيته على ثنائية درامية بسيطة يسهل تسويقها للجمهور: ضحية في مواجهة جلاد، شعب يقاوم غازيًا أجنبيًا، أو ثورة تواجه ديكتاتورًا دمويًا. لكن السودان اليوم لا يقدم قصة إعلامية "سهلة الهضم". فالصراع فيه، كما يرى الخبراء، هو حرب بين قوتين مسلحتين – الجيش وقوات الدعم السريع – وكلاهما متهم بارتكاب انتهاكات واسعة ضد المدنيين. ولذلك لم يجد الإعلام العالمي "طرفًا أخلاقيًا" يتبناه أو يقدمه كرواية للتعاطف (The Guardian, 2024).

ويظهر هذا الارتباك في الرأي العام أيضًا. فقد أظهر استطلاع أجراه "Atlantic Council" عام 2024 أن 75% من الأمريكيين يعترفون بأنهم لا يعرفون شيئًا تقريبًا عن حرب السودان ولا يفهمون أطرافها أو أسبابها. وكذلك وجدت دراسة أجرتها مؤسسة CAFOD البريطانية أن 77% من البريطانيين لم يسمعوا بأي تحذيرات أممية بشأن خطر حدوث مجاعة في السودان، رغم أن الأمم المتحدة صنفتها أكبر أزمة غذائية في العالم لعام 2025 (024CAFOD, 2).

نتيجة لذلك، أصبح السودان ضحية حرب إعلامية غير عادلة: فمن جهة، انقطعت المعلومات من داخله بسبب الحرب على الاتصالات والحصار (كما ناقشنا في المحور الخامس)، ومن جهة ثانية، لم يجد مساحة في شاشات العالم بسبب هيمنة أخبار أخرى وصراعات أقرب لمصالح الدول الكبرى والجمهور العالمي. وقد لخّص أحد الصحفيين الغربيين المشهد بقوله: "السودان لا ينقصه الدمار ولا الدماء، ما ينقصه فقط هو الضوء" (The Guardian, 2024).

7. الخاتمة

يبرُز من خلال تحليل محاور هذا البحث أنّ صمت العالم إزاء الحرب في السودان ليس لحظة طارئة في التاريخ السياسي الحديث، بل هو نتيجة تراكمية لبنية غير عادلة في النظام الدولي، تقوم على تراتبية الاهتمام البشري وفق المصالح والقوة. لقد كشف هذا البحث، عبر تحليل السياقات السياسية والإعلامية والإنسانية، أنّ السودان لم يُترك يواجه مصيره بسبب تعقيدات أزمته الداخلية فحسب، بل أيضًا بسبب منظومة دولية عاجزة أو متواطئة أو غير مكترثة.

يتضح أن غياب المصالح الاقتصادية والجيوسياسية الكبرى جعل السودان خارج حسابات القوى الدولية، بينما أدى تعدد السرديات حول طبيعة الصراع إلى إرباك الوعي العالمي ومنع تشكّل موقف أخلاقي واضح تجاه الضحايا. كما بينت الدراسة أن بعض القوى الإقليمية والدولية لعبت دورًا مباشرًا في تغذية الصراع بدافع مصالح استراتيجية واقتصادية، مما حوّل السودان فعليًا إلى ساحة حرب بالوكالة. وعلى المستوى الإنساني، شكّل فشل الأمم المتحدة ومنظومة العمل الإغاثي الدولي عاملًا رئيسيًا في تفاقم الكارثة، نتيجة فجوات التمويل وضعف الحماية وتعقيدات البيروقراطية الإنسانية.

كذلك، أظهرت الدراسة أنّ الحرب على الطرق والمعابر وقطع الاتصالات ساهمت في عزل السودان ميدانيًا وإعلاميًا، وأنتجت تعتيمًا ممنهجًا على الفظائع المرتكبة، مما أدى إلى ضعف الرأي العام العالمي تجاه الأزمة. وزاد من تعقيد المشهد تزاحم أولويات الإعلام الدولي وانشغاله بحروب أخرى أكثر ارتباطًا بالمصالح الغربية، كأوكرانيا، ما رسّخ سياسة التجاهل الانتقائي تجاه المأساة السودانية.

ختاما، إنّ السودان لا يحتاج الشفقة، بل الإنصاف الدولي وحقه في السلام والكرامة والسيادة. ولا يمكن للعالم أن يدّعي الدفاع عن قيم العدالة الإنسانية بينما يترك واحدة من أكبر المآسي المعاصرة تتوحش بلا مساءلة. فالصمت ليس حيادًا؛ الصمت انحيازٌ للخراب.

المراجع

Amnesty International. (2024). Sudan: Arms flows fueling conflict and civilian suffering. https://www.amnesty.org

Al Jazeera. (2023). Sudan's gum arabic: The invisible ingredient in global industry. https://www.aljazeera.com

Al Jazeera. (2024). Analysis: Why Sudan remains outside global priorities. https://www.aljazeera.com

BBC. (2024). Libya's Haftar supplying weapons to Sudan's RSF militia, reports reveal. https://www.bbc.com

Beaumont, P. (2023). Sudan conflict: Both sides accused of war crimes. The Guardian. https://www.theguardian.com

Bloomberg. (2024). Sudan conflict fuels gold smuggling and regional war economy. https://www.bloomberg.com

Brookings Institution. (2024). US policy in the Red Sea: Strategic neglect and rising risks. https://www.brookings.edu

Carnegie Endowment for International Peace. (2024). Russia, Wagner, and Sudan's gold: Anatomy of covert influence. https://carnegieendowment.org

Carnegie Middle East Center. (2024). The UAE's strategic calculus in Sudan. https://carnegie-mec.org

Chicago Council on Global Affairs. (2024). Global public opinion and humanitarian awareness survey. https://globalaffairs.org

Chicago Council on Global Affairs. (2024). Public opinion and humanitarian crises: Why Sudan is ignored. https://globalaffairs.org

CNN Investigations. (2023). Wagner's gold operations in Sudan exposed. https://edition.cnn.com

Conflict Armament Research. (2024). Weapon supplies to Sudan's warring parties. https://www.conflictarm.com

ECFR – European Council on Foreign Relations. (2024). Sudan: A proxy war no one wants to end. https://ecfr.eu

FMES – Fondation Méditerranéenne d'Études Stratégiques. (2024). Sudan: Geopolitics, resources and regional influence. https://fmes-france.org

FMES – Fondation Méditerranéenne d'Études Stratégiques. (2024). Media coverage analysis on Sudan's conflict. https://fmes-france.org

FMES – Fondation Méditerranéenne d'Études Stratégiques. (2024). Sudan conflict and regional power competition. https://fmes-france.org

France Diplomacy – Ministry for Europe and Foreign Affairs. (2023). International humanitarian conference for Sudan. https://www.diplomatie.gouv.fr

Freedland, J. (2024). Sudan is the world's gravest humanitarian disaster – but almost nobody cares. The Guardian. https://www.theguardian.com

Global Initiative Against Transnational Organized Crime. (2024). Sudan's war economy: Gold, weapons, and criminal networks. https://globalinitiative.net

Global Witness. (2024). Blood gold: How Sudan's RSF funds war through illicit mining. https://www.globalwitness.org

Horn International Institute for Strategic Studies. (2025). Russia's naval ambitions in Port Sudan: Implications for Red Sea security. https://horninstitute.org

International Crisis Group. (2024). Sudan: Ethnic conflict returns to Darfur. https://www.crisisgroup.org

NRC – Norwegian Refugee Council. (2024). Sudan displacement and refugee update. https://www.nrc.no

ONU France – Permanent Mission of France to the United Nations. (2024). France calls for ceasefire in Sudan. https://onu.delegfrance.org

Reuters. (2025). Russia's Africa Corps expands operations after Wagner rebrand. https://www.reuters.com

Sahloul, Z. (2023). Foreign mercenaries in Sudan's conflict. Middle East Monitor. https://www.middleeastmonitor.com

Small Arms Survey. (2024). Cross-border militias in Libya, Chad, and Darfur. https://smallarmssurvey.org

TASS Russian News Agency. (2024). Russia sends delegation to Sudan amid conflict. https://tass.com

The Guardian. (2023). Sudan's RSF linked to Haftar's Libyan war machine. https://www.theguardian.com

United Nations. (2023). Report of the High Commissioner for Human Rights on Sudan. https://www.ohchr.org

United Nations Panel of Experts on Sudan. (2024). Final report on Sudan arms embargo violations. https://www.un.org/securitycouncil

United Nations Security Council. (2024). Security Council meeting records on Sudan crisis. https://www.un.org/securitycouncil

US State Department. (2024). US stance on Sudan conflict and Jeddah talks. https://www.state.gov